بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير الفروق الدلالية بين الضلال والنسيان في التعبير القرءاني

دكتور: ماهر بن رمضان عبد الجواد صالح- دكتوراه في المنهج الإسلامي لتعليم اللسان العربي المبين للعجم

إهداء لروح أمي الكريمة رحمها الله، وهو أرحم الراحمين

مقدمة: لقد أحسن أبو هلال العسكري (395ه) في التنبيه على أهمية اعتبار الفروق اللغوية بين "معان تقاربت حتى أشكل الفرق بينها"، "وواضع اللغة حكيم لا يأتي فِيها بما لا يفِيد... فهذا يدل على أَن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان فِي لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلا كان الثاني فضلا لا يحتاج إليه؛ وإلى هذا ذهب المحققون من العلماء". و قد أحسن الزركشي (794) في برهانه في علوم القرءان ، تسليما منه لهذه الحقيقة ولشدة الحاجة الملزمة للمفسر؛ إذ يقول: "قاعدة في ألفاظ يظن بها الترادف وليست منه ؛ ولهذا وزعت بحسب المقامات فلا يقوم مرادفها فيما استعمل فيه مقام الآخر فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد". وقد اتبعه في ذلك السيوطي (911) في الإتقان؛ فكان من ذلك أمثلة نالوا بها السبق، ويسرت لمن بعدهم الطريق، لكن لم يتعرض أحدهم ، ولا غيرهم – فيما أعلم- لدراسة في الفروق الدلالية بين الضلال والنسيان ؛ مع أنهما مادتان لغويتان قد وردتا في لسان القراءن ورودا ينبه ويلزم بالبحث في العلاقة والفروق الدلالية بينهما .

ويهدف البحث إلى بيان: أنه مما يجب على المفسر الحديث متابعة هذه السنة الحسنة، لإبراز دلالات لغوية لا سبيل إلى معرفتها إلا بإتقان ملكة التمييز الدقيق بين المفردات القرءانية المترادفة، خاصة إذا وردت في سياق واحد قد جمع مفردة بأختها. ولقد جاء هذا البحث في إطار المحور الثالث من محاور هذا المؤتمر الكريم، بعنوان: التجديد في علوم القرءان والتفسير وأثرهما عند القدامى والمحدثين. حيث تعد جهود القدامى الذين ذكرت بعضهم خير شاهد على حرصهم على التجديد؛ فقد ظهر لنا أثر النفع الذي نجده في تناولهم لتفسير ظاهرة الترادف اللغوي بين مفردات القرءان ، وإنتاج واستنباط دلالات فارقة هامة ونافعة للكشف عن مكنونات التعبير القرءاني، بما يستوجب اتخاذ سبيلهم حجة في التوافر على خدمة علم التفسير؛ لاستجلاء المزيد من خصائص التعبير القرءاني –خاصة أن علم الفروق اللغوية قل من يعتد به في عصرنا الحديث؛ منصرفين عن وصية القدامى عندما جعلوها قاعدة ثبت صحتها وشدة الحاجة إلى معرفتها؛ حتى قال الزركشي ثم السيوطي: "قاعدة في الألفاظ التي يظن بها الترادف وليست منه". وجاءت خطة البحث في فصل أول يشير إلى إحصاء المواضع القرءانية لمادتي: الضلال والنسيان، إذ وردت مادة (ضلّ) مائة واثنتين وثمانين مرة، ومادة (نسي) –مع التحفظ على موضع واحد محل نزاع بين العلماء- خمسا وأربعين مرة. وفصل ثان: لتحديد معالم دقيقة لمنهج استعمال كل مادة على حدة، وهو باب له شواهده في سنن علماء المعاني . وفصل ثالث: لدراسة موسعة في قوله تعالى: "لا يَضِلُّ رَبّي ولا يَنْسَى"، لاستنباط الفرق الدلالي، وصياغته في قاعدة علمية منضبطة، بتحليل المقام واستدعاء مقتضياته البلاغية، ومقارنته مع جهود المفسرين وأصحاب المعاني والمعاجم وعلم الوقف .

وفصل رابع: لتعزيز صحة القاعدة المستنبطة بدراسة موجزة في قوله تعالى: "أَنْ تَضِلَّ إحداهما فتُذَكِّرَ إحداهما الأُخْرَى"، حيث قد توصل البحث إلى كشف حقيقية دلالية جديدة غير مسبوقة بشأن شهادة المرأة مقارنة بشهادة الرجل، ومزيد من الإيضاح بمواضع قرءانية.

الفصل الأول: رأيت أن أقف هنا على ذلك الموضع الواحد، الذي هو محل نزاع بين العلماء ، وهو قوله تعالى: "مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" [البقرة: 106]؛ لأسباب: أولا: لأن النزاع فيه ينصب على الدلالة؛ والبحث هنا معني بالفروق الدلالية . ثانيا: ولأن استنباط قاعدة علمية لبيان الفروق الدلالية بين الضلال والنسيان يقتضي تخليص كل مادة مما يتداخل فيها ويتشابه معها دلالة، بل يجب ذلك في معناها وفي مبناها، ثالثا: ولبيان الدعوة إلى منهجية علمية لا تُسْلِم؛ ولا تُسَلِّم لنتائج جهود العلماء قبل فحصها ونقدها وترجيح وجه الحق فيها. وقد حرصت على أن تكون هذه الوقفة مناسبة لمقتضى المقام الذي يعنى به هذا البحث، على أنني أري جدارة هذا الموضع ببحث مستقل في ترجيح القراءات القرءانية، والله المستعان.

ولذا فإنه يكفي -هنا- بيان نبذة عن هذا النزاع بين علماء التفسير والقراءات، مستشهدا ببعضهم دون جمعهم: فهذا الإمام الطبري (310)، يقول: "اختلفت القَرّاء في قوله ذلك. فقرأها أهل المدينة والكوفة: (أو نُنْسِها). ولقراءة من قرأ ذلك وجهان من التأويل ، أحدهما: أن يكون تأويله: ما ننسخ يا محمد من ءَاية فنغير حكمها أو ننسها. وقد ذكر أنها في مصحف عبد الله: (ما نُنسِكَ من ءاية أو نَنْسَخها نجئ بمثلها)، فذلك تأويل النسيان. وبهذا التأويل قال جماعة من أهل التأويل ... عن قتادة قوله: (ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)، كان ينسخ الآية بالآية بعدها، ويقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم الآية أو أكثر من ذلك، ثم تنسى وترفع. ... عن قتادة في قوله: (ما ننسخ من ءاية أو ننسها)، قال: كان الله تعالى ذكره ينسي نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء، وينسخ ما شاء ... عن مجاهد قال: كان عبيد بن عمير يقول: (ننسها)، نرفعها من عندكم ...عن الحسن أنه قال في قوله: (أو ننسها)، قال: إن نبيكم صلى الله عليه وسلم أقرئ قرءانا، ثم نسيه. وكذلك كان سعد بن أبي وقاص يتأول الآية، إلا أنه كان يقرؤها: (أو تَنْسَها) بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنه عنى أو تنسها أنت يا محمد...عن القاسم بن ربيعة قال، سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: (ما ننسخ من ءاية أو تنسها)، قلت له: فإن سعيد بن المسيب يقرؤها: (أو تُنْسَها)، قال: فقال سعد: إن القرءان لم ينزل على المسيب ولا على ءال المسيب! قال الله: (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى) [الأعلى: 6]، (واذْكرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) [سورة الكهف 24]... عن الربيع في قوله: (ما ننسخ من ءاية أو نُنسها)، يقول: ننسها: نرفعها. وكان الله تبارك وتعالى أنزل أمورا من القرءان ثم رفعها". ويقول الطبري: " والوجه الآخر منهما، أن يكون بمعنى الترك، من قول الله جل ثناؤه: (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) [التوبة: 67]، يعني به: تركوا الله فتركهم. فيكون تأويل الآية حينئذ على هذا التأويل: ما ننسخ من ءاية فنغير حكمها ونبدل فرضها، نأت بخير من التي نسخناها أو مثلها. وعلى هذا التأويل تأول جماعة من أهل التأويل ... عن ابن عباس في قوله: (أو نَنسها)، يقول: أو

نتركها لا نبدلها ... عن السدي قوله: (أو ننسها)، نتركها لا ننسخها ... عن الضحاك في قوله: (ما ننسخ من ءاية أو ننسها)، قال: الناسخ والمنسوخ. قال أبو جعفر: ... قال ابن زيد في قوله: (نُنسها)، نمحها. وقرأ ذلك ءاخرون: (أو نَنْسَأْها) بفتح النون وهمزة بعد السين، بمعنى نؤخرها، من قولك: "نسأت هذا الأمر أنسؤه نَسْأً ونَسَاء، إذا أخرته، وهو من قولهم: بعته بنساء، يعني بتأخير. وممن قرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين، وقرأه جماعة من قراء الكوفيين والبصريين، وتأوله كذلك جماع من أهل التأويل ...عن عطاء في قوله: (ما ننسخ من ءاية أو نَنْسأها)، قال: نؤخرها...حدثنا عيسى قال، سمعت ابن أبي نجيح يقول في قول الله: (أو ننسأها)، قال: نُرْجئها... عن مجاهد: (أو ننسأها)، نرجئها ونؤخرها ... عن عطية: (أو ننسأها)، قال: نؤخرها فلا ننسخها ... عن عبيد بن عمير (أو ننسأها)، إرجاؤها وتأخيرها ... عن عبيد بن عمير أنه قرأها: (ننسأها) ".وقال الطبري: "قال أبو جعفر: فتأويل من قرأ ذلك كذلك: ما نبدل من ءاية أنزلناها إليك يا محمد، فنبطل حكمها ونثبت خطها، أو نؤخرها فنرجئها ونقرها فلا نغيرها ولا نبطل حكمها، نأت بخير منها أو مثلها. وقد قرأ بعضهم ذلك: (ما ننسخ من ءاية أو تُنسها). وتأويل هذه القراءة نظير تأويل قراءة من قرأ: (أو نُنسها)، إلا أن معنى (أو تُنسها)، أنت يا محمد. وقد قرأ بعضهم: (ما نُنسِخ من ءاية)، بضم النون وكسر السين، بمعنى: ما ننسخك يا محمد نحن من ءاية — من : أنسختك فأنا أنسخك. وذلك خطأ من القراء عندنا، لخروجه عما جاءت به الحجة من القراءة بالنقل المستفيض. وكذلك قراءة من قرأ (تُنسها) أو(تَنسها) لشذوذها وخروجها عن القراءة التي جاءت بها الحجة من قراء الأمة ". وبعد أن يرى رأيه في هذه القراءات، يرجح بينها ويحتج للترجيح بقوله: "وأولى القراءات في قوله: (أو ننسها) بالصواب، من قرأ: (أو نُنْسها) بمعنى: نتركها؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه مهما بدل حكما أو غيره، أو لم يبدله و لم يغيره، فهو ءاتيه بخير منه أو بمثله. فالذي هو أولى بالآية، إذْ كان ذلك معناها، أن يكون – إذ قدم الخبر عما هو صانع إذا هو غير وبدل حكم ءاية أن يعقب ذلك بالخبر عما هو صانع، إذا هو لم يبدل ذلك و لم يغير. فالخبر الذي يجب أن يكون عقيب قوله: (ما ننسخ من ءاية). قوله: أو نترك نسخها، إذ كان ذلك المعروف الجاري في كلام الناس. مع أن ذلك إذا قرئ كذلك بالمعنى الذي وصفت، فهو يشتمل على معنى (الإنساء) الذي هو بمعنى الترك، ومعنى (النَّساء) الذي هو بمعنى التأخير. إذ كان كل متروك فمؤخر على حال ما هو متروك ". ويقوي اختياره بقوله: "وقد أنكر قوم قراءة من قرأ: (أو نَنْسها)، إذا عنى به النسيان، وقالوا: غير جائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم نسي من القرءان شيئا مما لم ينسخ، إلا أن يكون نسي منه شيئا، ثم ذكره. قالوا: وبعد، فإنه لو نسي منه شيئا لم يكن الذين قرءوه وحفظوه من أصحابه، بجائز على جميعهم أن ينسوه. قالوا: وفي قول الله جل ثناؤه: (ولَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بالذِي أَوْحَيْنَا اليْكَ) [الإسراء: 86] ما ينبئ عن أن الله تعالى ذكره لم يُنس نبيه شيئا مما ءاتاه من العلم. قال أبو جعفر: وهذا قول يشهد على بُطُوله وفساده، الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بنحو الذي قلنا ... حدثنا أنس بن مالك: أن أولئك السبعين من الأنصار الذين قتلوا ببئر معونة، قرأنا بهم وفيهم كتابا: بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا. ثم إن ذلك رفع.

وغير مستحيل في فطرة ذي عقل صحيح، ولا بحجة خبر أن يُنسي الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعض ما قد

كان أنزله إليه. فإذْ كان ذلك غير مستحيل من أحد هذين الوجهين، فغير جائز لقائل أن يقول: ذلك غير جائز. وأما قوله: (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك)، فإنه جل ثناؤه لم يخبر أنه لا يذهب بشيء منه، وإنما أخبر أنه لو شاء لذهب بجميعه، فلم يذهب به والحمد لله، بل إنما ذهب بما لا حاجة بهم إليه منه، وذلك أن ما نسخ منه فلا حاجة بالعباد إليه. وقد قال الله تعالى ذكره: (سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى إلا مَا شَاءَ اللَّهُ) [الأعلى: 6-7]، فأخبر أنه يُنسي نبيه منه ما شاء. فالذي ذهب منه الذي استثناه الله. فأما نحن، فإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلب اتساق الكلام على نظام في المعنى، لا إنكار أن يكون الله تعالى ذكره قد كان أنسى نبيه بعض ما نسخ من وحيه إليه وتنزيله". انتهى كلام الطبري.

وهذا الإمام ابن عادل (775) يقول في تفسيره (اللباب في علوم الكتاب): "وفيها ثلاث عشرة قراءة:... وقال الزجاج: هذه القراءة لا يتوجّه فيها معنى الترك، لا يقال: أنسى بمعنى ترك. قال الفارسي وغيره: ذلك متّجه؛ لأنه بمعنى نجعلك تتركها، وضعف الزجاج أيضاً تحمل الآية على معنى النسيان ضد الذكر وقال: إن هذا لم يكن له عليه السلام ولا نسي قر ءاناً. بدليل قوله تعالى: (ولَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالذِي أَوْحَيْنَا إلَيْكَ)، أي: لم نفعل شيئاً من ذلك. وأجاب الفارسي بأن معناه لم نذهب بالجميع[1]". انتهى.

وأقول: الاستثناء في ءاية الأعلى من باب تذكيره بنعمة الله عليه ليتعلق قلبه بربه ليرجوه ألا يُنسيه منه من شيء، والكلام لا يدل على حدوث فعل النسيان البتة، وإن هذا المعنى ليخرج من مخرج قوله تعالى عند بيان تمام قدرة الله في أمر الجنة والنار حتى فيمن قد حكم في شأنهم بقوله تعالى: "خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك"[هود 107-108]، لتتم فيهم معنى العبودية المطلقة لله ربهم، بأن "له الخلق والأمر" [الأعراف 54]، "بيده الملك" [الملك 1]، "وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه" [هود 123]، "فاعبده واصطبر لعبادته" [مريم 65]؛ فهذان الاستثناءان فيما أرى- يخرجان من مشكاة واحدة، وأن الكلام هنا لا يدل على النسيان كما رأى الطبري. ومن هنا فإن هذا الموضع بعد نفي دلالة النسيان عن هذا الموضع- فإنني أدعو إلى تصويب هذا الموضع وعده في غير مادة (نسي).

<u>**الفصل الثاني:**</u> لتحديد معالم دقيقة لمنهج استعمال كل مادة على حدة، وهو باب له شواهده في سنن علماء المعاني. وقد انتهجت لتحقيق هذا الهدف أن أصطفي أهم موضع ورد في القرءان؛ حيث قد جمع بين المادتين معا في سياق واحد، وهذا يمثل-عندي- أنسب مقام لبيان الفرق بينهما. والغرض من استعراض أقوال بعض العلماء هو التركيز على أمرين: الأول، <u>بيان موقفهم من الموقع الإعرابي</u> لقوله تعالى: "لا يَضِلُّ رَبّي ولا يَنْسَى"، لإدراك مقتضاه في هذا المقام الذي سيق له. والغرض الآخر، هو <u>بيان موقفهم من الفروق الدلالية</u> بين مادتي: (الضلال) و(النسيان):

---

1 - أبو علي الفارسي (377) (الحجة للقراء السبعة)

قال ابن عادل (775) في تفسيره: "قوله: (لاَّ يَضِلُّ رَبِّي) في هذه الجملة وجهان: أحدهما: أنَّها في محل جر صفة لكِتَاب، والعائد محذوف تقديره: فِي كِتَاب لا يَضِلُّه رَبِّي، أو لا يضل حفظَه رَبِّي، ف ـــــــرَبِّي، فاعل (يَضِلُّ) على هذا التقدير. وقيل: تقديره: لا يَضِلُّ الكتابُ رَبِّي، فيكون في " يَضِلُّ " ضمير يعود على الكتاب، ورَبِّي منصوب على التعظيم، وكان الأصل عن ربي، فحذف الحرف اتساعاً... والثاني: أنها مستأنفة لا محل لها من الإعراب، ساقها الله -تعالى- لمجرد الإخبار بذلك حكاية عن موسى. وقرأ الحسن وقتادة والجحدري وعيسى الثقفي وابن محيصن وحماد بن سلمة "لا يُضِلُّ" بضم الياء، أي لا يُضِلُّ رَبِّي الكِتَابَ، أي: لا يضيعُه، يقال: أضْلَلْتُ الشيء أي أضعته و (ربّي) فاعل على هذا التقدير. وقيل: تقديره: لا يُضِلُّ أحدٌ رَبِّي عن علمه، أي من علم الكتاب، فيكون الربُّ منصوباً على التعظيم ... (ولاَ يَنْسَى) في فاعل "يَنْسَى" قولان: أحدهما: أنه عائد على (ربّي) أي: ولا يَنْسَى رَبِّي ما أثبته في الكتاب. والثاني: أن الفاعل ضمير عائد على الكتاب على سبيل المجاز كما أسند اليه الإحصاء مجازاً في قوله: (إلا أحْصَاهَا) لما كان محلاً للإحصاء. قال مجاهد في قوله: (لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنسَى): إن معنى اللفظين واحد، أي: لا يذهب عليه شيء ولا يخفى عنه. وفرق الأكثرون بينهما، فقال القفال: لا يَضِلُّ عن الأشياء ومعرفتها، وما عُلِم من ذلك لم ينسه، فاللفظ الأول إشارة إلى كونه عالماً بكل المعلومات، وقوله: "ولاَ يَنْسَى" دليلٌ على بقاء ذلك العلم أبد الآباد، وهو إشارة إلى نفي التغير. وقال مقاتل: لا يخطئ ذلك الكتاب رَبِّي، ولا يَنْسَى ما فيه. وقال الحسن: لا يخطئ وقت البعث ولا ينساه. وقال أبو عمرو: وأصل الضلال الغيبوبة، والمعنى: لا يغيب عن شيء ولا يغيب عنه شيء. وقال ابن جرير: لا يُخطئ في التدبير، فيعتقد فيما ليس بصواب كونه صواباً، وإذا عرفه لا ينساه). وكلها متقاربة، والتحقيق هو الأول".

فواضح أن ابن عادل -بعد أن ذكر كلام العلماء، يختار أن يكون معنى اللفظين في (الضلال) و(النسيان): واحد[1].

وقد رضي الألوسي وصرح بإعجابه بالتفريق الدلالي بينهما فقال في تفسيره (روح المعاني): "وتفسير الجملتين بما ذكر مما ذهب إليه القفال، ووافقه بعض المحققين، ولا يخفى حسنه".

وقال الألوسي في تفسيره: "وزعم بعضهم أن الجملة فى موضع الصفة لكتاب والعائد إليه محذوف أي لا يضله ربى ولا ينساه وقيل: العائد ضمير مستتر في الفعل وربي نصب على المفعول أي لا يضل الكتاب ربى أي عنه وفى ينسى ضمير عائد إليه أيضا أي ولا ينسى الكتاب شيئا أي لا يدعه على حد لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها؛ والعجب كل العجب من العدول عن الظاهر إلى مثل هذه الأقوال و إظهار ربى فى موقع الإضمار للتلذذ بذكره تعالى ولزيادة التقرير والإشعار بعلية الحكم ف إن الربوبية مما تقتضى عدم الضلال والنسيان حتما وقرأ الحسن وقتادة والجحدرى وحماد بن سلمة وابن محيصن وعيسى الثقفى لا يضل بضم الياء من أضل وأضللت الشيء وضللته قيل بمعنى... وذكر أبو البقاء فى توجيه هذه القراءة وجهين جعل ربي منصوبا

[1] - روى الطبري في تفسيره (جامع البيان في تأويل القرءان): "عن مجاهد، قوله (لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى) قال: هما شيء واحد".

على المفعولية والمعنى لا يضل أحد ربي عن علمه وجعله فاعلا ، والمعنى لا يجد ربى الكتاب ضالا أي ضائعا . وقرأ السلمى لا يُضَل ربى ولا يُنْسى ببناء الفعلين لما لم يسم فاعله".

ويمكن أن أستنتج من كلام الألوسي أنه غير راض عن تضييق التفسير على قيد العلم بالقرون الأولى، ويرضى بانفتاح الدلالة وانفساحها للعموم والشمول، بأن الله تعالى لا يضل شيئا، ولا ينسى شيئا، لأنه لا يعجزه شيء، ولا يعزب عنه شيء، وهو على كل شيء قدير. وأرى أن هذا التوسيع هو ما يقتضيه المقام، وهو ما عناه موسى بقوله هذا.

والشوكاني (1250) في تفسيره (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية)، وكأنه نقل كلام القرطبي بنصه وفصه، يقول: "وقد اختلف فى معنى (لا يضل ربي ولا ينسى) على أقوال: الأول، أنه ابتداء كلام تنزيه لله تعالى عن هاتين الصفتين وقد تم الكلام عند قوله فى كتاب ، كذا قال الزجاج قال ومعنى (لا يضل) لا يهلك من قوله (أئذا ضللنا فى الأرض) (ولا ينسى) شيئا من الأشياء فقد نزهه عن الهلاك والنسيان . القول الثاني، أن معنى (لا يضل) لا يخطئ . القول الثالث ، أن معناه لا يغيب ، قال ابن الأعرابي أصل الضلال الغيبوبة . القول الرابع، أن المعنى لا يحتاج إلى كتاب ولا يضل عنه علم شئ من الأشياء ولا ينسى ما علمه منها ، حكى هذا عن الزجاج أيضا ، قال النحاس وهو أشبهها بالمعنى ، ولا يخفى أنه كقول ابن الأعرابي . القول الخامس ، أن هاتين الجملتين صفة لكتاب والمعنى أن الكتاب غير ذاهب عن الله ولا هو ناس له"[1].

وقد أحسن البقاعي (885)في تفسيره (نظم الدرر)، وكأنه يختار توسيع الدلالة للشمول، فيقول: " ولما كان ربما وقع في وهم واهم أن الكتاب لا يكون إلاخوفاً من نسيان الشيء أو الجهل بالتوصل إليه مع ذكر عينه، نفى ذلك بقوله: (لا يضل ربي) أي الذي رباني كما علمت ونجا ني من جميع ما قصدتموه لي من الهلاك ولم يضل عن وجه من وجوهه، ولا نسي وجهاً يدخل منه شيء من خلل (ولا ينسى) أي لا يقع منه نسيان لشيء أصلاً من أخباره ولا لغيرهم"

وفي (مشكل إعراب القرءان) لمكي بن أبي طالب (437): "(في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى)! ما بعد كتاب صفة له من الجملتين، وربي في موضع نصب بحذف الخافض تقديره لا يضل الكتاب عن ربي ولا ينسى ويجوز أن يكون ربي في موضع رفع ينفي عنه الضلال والنسيان".

فكان واضحا أن هذا الموضع من المشكل؛ حتى اشتبه في فاعل الضلال والنسيان، أهو الكتاب، أو ربي، كما اشتبه في دلالة المادتين أهما بمعنى واحد، أو أن بينهما فرقا دلاليا، ثم الاشتباه في اختلاف القراءات من حيث الفاعلية والمفعولية في الفعلين: (يضل)، و(ينسى)، وناهيك عن موقع الفعلين بما قبلهماحيث: الخبرية، أو الحالية، أو النعتية، وناهيك، أيضا، عن غلق دلالة النفي، أو فتحها، ..وكل ذلك حمل ثقيل، وتبعة جسيمة، ومسؤولية كبيرة، لامفر للبحث منها، على ماهي عليه، والله المستعان.

---

[1] - زاد القرطبي: "فهما نعتان لـــكتاب، وعلى هذا يكون الكلام متصلا، ولا يوقف على (كتاب)".

الفصل الثالث: لدراسة موسعة في قوله تعالى: "لا يَضِلُّ رَبّي ولا يَنْسَى"، لاستنباط الفرق الدلالي، وصياغته في قاعدة علمية منضبطة، بتحليل المقام واستدعاء مقتضياته البلاغية.

وإنه مما يلزم قارئ قول نبي الله موسى -صلى الله عليه وسلم- هذا "لا يَضِلُّ رَبّي ولا يَنْسَى" ، أن يجد نفسه راغبة في تساؤلات عدة ليبحث لها عن إجابة شافية كافية، لتبرز قيما دلالية جديدة، وتقف على مدى حاجة المقام إلى أمور، مثل:

1- ذكر هذا القول "لا يَضِلُّ رَبّي ولا يَنْسَى"

2- تكرار النفي

3- الجمع بين هذين الفعلين

4- تقديم أحدهما

5- إيثار النفي بهذه الأداة دون أخواتها

6- إيثار صيغة الفعلين دون الماضي

7- والفعل (ينسى)، ما سبب تأخيره، وما مدى صلته بالفاصلة القرءانية في هذه السورة

ويمكن أن أتصور من المقام هذا الحوار: فرعون يسأل موسى وهارون: " فمَا بَال القُرُونِ الأُولَى "، موسى يجيبه: "قال عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبّي ولا يَنْسَى" وإن من يدرس قوله تعالى: "أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى" [البقرة 282] بشيء من التدبر لابد أن يتساءل: ما العلاقة بين (تضل) و(تذكر) بما أن تضل ضدها (تَهْدِى) وتذكر ضدها (تَنْسى)، لماذا لم يقل أن: (تَنْسى... فتذكر)

ثانيا: فى قوله تعالى "لا يضل ربى ولا ينسى" ما العلاقة بين (يضل وينسى)، مما جعلهما منفيين، معطوفيين. استواء نفى دل عليه العطف هل هذا من باب قوله تعالى: "لا تأخذه سنة ولا نوم" [البقرة 255]، أي أنه نفى القليل بقوله: (سنة) ونفى الكثير بقوله: (نوم)؟ وإن كان نفيُ القليل تقدم فما فائِدة ذكر الكثير منه معطوف عليه من باب: (ليس بكاذب ولا كذّاب)؟ وإن العطف يقتضى المغايرة وتكرار النفى يقتضى المغايرة أيضا لكن العلاقة بينهما أيمكن أن تكون هى الترادف ؟. ثم إن ورود مادة الضلال فى كتاب الله تعالى بهذا القدر الذى شارف على نحو المائتين ليدل على عظم شأنه الله تعالى وهو وجنوده ويسلطهم على عباده فتنة وامتحانا. وبتسليط الله حزب الشيطان لإضلال الناس تعرف نعمة الله على عباده إذ هداهم من الضلال ، والضلال نوع من الظلمات، أما الهدى فهو نور والضلال سببه أحيانا الشبهات. وندرك في قوله تعالى: "ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين" [الأحقاف 5-6]، أنه أشد الضلال، وفي: "أفرأيت من اتخذ إلاهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون " [الجاثية 23].

ونصوص القرءان تكشف لنا عن دلالة الضلال بأن ضده الهدى، وأن علاقته بالنسيان علاقة ترادف، وأنه بيد الله؛ فلا هادى لمن أضل الله؛ ولا مضل لمن هدى الله، وأن مصادر الإضلال هي الشيطان وحزبه: "عدو

مضل مبين" [القصص 15]، وأن الضلال منه القريب ومنه البعيد، ومنه المبين ومنه الخفي، وأن الضلال والإضلال مستويان؛ ضل بنفسه، وأضل غيره، وأن الضلال خطر على الإنسان حتى بعد أن هداه الله؛ بما يوجب الاستعصام بالله وحده، وأن الضلال في قوله تعالى عن موسى: "فعلتها إذا وأنا من الضالين" [الشعراء 20]، أي المخطئين؛ لم أقصد لم أتعمد، وهذا يؤيد أن الضلال منه العمد ومنه الخطأ، كما أن النسيان منه العمد ومنه الخطأ. وأن قوله تعالى: "نسوا الله فنسيهم" [التوبة 67]، أي: ضلوا ضلالا بعيدا، وختم لهم بهذا فلم يذكروا الله

وأن قوله تعالى: "إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله" [ءال عمران 135]، فمن باب "فاذكروني أذكركم" [البقرة 152].

وهذه النصوص في المادة الواحدة تلزم الم فسر والدارس لكتاب الله بأن يدرك العلاقات بين دلالات المادة الواحدة؛ إذ ليس كلها دالة على العمد دون الخطأ ، ولا دالة على قدر واحد لا يتفاوت في نسبه ومستوياته؛ فمنه الكبير والصغير، ومنه الكثير والقليل!. فبهذه الدقة وهذه الحاسة الإدراكية يستطيع المفسر أن يعي أمورا تشتبه على الناس، فيظنوا بها التناقض أحيانا؛ وهذا بُعْد جديد من دلالات المفردات القرءانية يجب التوافر على خدمته, والله المستعان!.

ثم تشتد درجة الإلزام للمفسر عندما يدرس مادة قرءانية لا مجد ترادف في اللغة فما بالنا إذا جمع القرءان في موضع واحد بين المترادفين ثم إن مادة تسبق مادة في الرتبة وفي درجة الدلالة إن اتحاد هذه القواعد البحثية وإلزام المفسر بها والتسليم لجدوى النفع بها ..، كل هذا يصل بالمفسر إلى غاية ءامنة, وتجلي له حقائق دلالية، وتبرز عناية المفسر وتقديره لخصائص لغة القرءان: اللسان العربى المبين.

ولقد نتج عن هذه الدراسة:

1- أن قوله تعالى "لايضل ربي ولا ينسى" لا يستغني عنه المقام

2-أن الضلال- حالَ التعبير عنه بالفعل- يكون أدنى من الاسم وهذا يبرر لنا استعمال لا يضل ربي حيث لم يقل (ربي ليس ضالا) لأن نفى الاسم بدلالته البلاغية لا تقتضى نفى الفعل بدلالته وهي الأدنى من دلالة الاسم

3-أن الترادف بين (يضل) و(ينسى) قد اتضح بموجب تقدم الضلال على النسيان في النسق التعبيرى

4-أن عطف نفى النسيان على نفي الضلال كان لازما فلا ينبغى أن يحذف, لأن المقام يقتضى تنزيه الله تعالى عن الضلال كله صغيره وكبيره، والنسيان كله صغيره وكبيره

5- أن تناوب المادتين في التعبيير وإيثار هذا الأسلوب ، مع أن له بد ائل أخرى، لكن القرءان اتخذ الأسلوب الأوجز والأبلغ والذى ضمن بقاء قدر الترادف بين المادتين فلم يقل : (لا يضل ربي ضلالا أبدا)، (لايضل ربي قليلا ولا كثيرا)، (لايضل ربي ضلالا قريبا ولا بعيدا). فتوازن تقديم الفعل مع إيثار النفى بالأداة (لا)، مع التصريح بذكر: (رب)، والإضافة: (ي).. حقق توازن ذلك مع المقام؛ إذ يمثل الشق الأول لهذا السياق. ثم إنه قد تم التوازن بعد أن أكمله بالشق الآخر عطفا على الأول بإيثار الفعل (ينسى)، وبتكرار الأداة (لا) معه واتحاد الفاعل مع المذكور واستغنى عن ذكر ما يدل على نفى الضلال كله بطرق التوكيد والتفصيل والتأبيد ،

والعطف في إطار المادة الواحدة، مادة: (الضلال) – إنما استغنى عن هذاكله بذكر غاية ما تصل له مادة الضلال وهو النسيان فكان ذكْر : (ولا ينسى) من حيث عطف النفى بنفس الأداة ، ومن حيث العطف بفعل متحد نسقا وزمنا، ومن حيث مادة النسيان.

6- وهذا أيضا يوضح أن هذا التعبير أبلغ من بديل ءاخر حذفت منه مادة الضلال كأن يقول: (عملها عند ربي في كتاب)، (عملها عند ربي في كتاب لاينسى ربى)، (عملها عند ربي في كتاب لايضل ربى)، (عملها عند ربي في كتاب لا ينسى)، (عملها عند ربي في كتاب لايضل).

7- وأن علاقة "لا يضل ربي ولا ينسى " علاقة تلازم وتتمة إذ لا يكتفى با لأولى دون الأخرى, فيتفرع عن ذلك أن الوقف على"لايضل ربي" وقف ينقص بلاغة السياق وينقض مقتضى المقام.

8- كما تتضح استقلالية جملة: (علمها عند ربي في كتاب) استقلال الجزء داخل الكل؛ بما يجيز أن يوقف أو يسكت وقفة قصيرة أو سكتة لطيفة على (كتاب) ، ويرشح لهذا الجواز أمران: – استئناف ما بعده "لايضل ..."، – والتصريح بذكر (ربي). كل ذلك لأن الضلال ضعف ، وعجز لا ينبغى أن ينسب ش يء منه إلى الله تعالى. ولأن النسيان ضعف يعتري الناس، وهذا عيب ، وعجز لا ينبغى أن ينسب ش يء منه إلى الله تعالى. وعندي- أن هذا هو ما عناه موسى، عليه السلام، في حديثه مع فرعون ؛ حيث يقتضى المقام تسبيح الله عن كل عيب؛ ولأن فرعون قد أصر على إقحام مقارنة ومفاضلة بينه وبين رب العالمين, مما ألزم موسى باستعراض ما يكفى من معالم قوة الله وقدرته, وضعف فرعون وعجزه لإبراز الحق والأحق بالربانية والإلهية..

9- أن النسق التعبيرى: "علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى" بعد أن أكد بالإثبات (علمها عند ربي في كتاب) أكده بالنفى في: (لايضل ربي ولا ينسى) – هذا النسق أمدنا بمذاق جديد لتسبيح الله تعالى في قضية أن الله:بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء، لا يعجزه شيء؛ لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

10- وقد ءاثر التعبير القرءاني الفعل الدال على الحال والاستقبال في مقام الجدال عن "القرون الأولى" أى الماضية حيث يعد هذا الإيثار التعبيرى تخصي لدلروا فىقوة المعنى وبلاغة الحجة وإيجاز ال م ين لأن قوة الله لا تختزل في نطاق الماضى فحسب إنما هي شمولية واستغراق الزمان والمكان والإنسان.

11- واصطفاء موسى فى الجواب ورد الذكر بقوله: (علمها) وهو أقوى ما يجب أن يكون فى الإله: العلم ثم إضافة العلم لموضوع الجدال"القرون الأولى" فى كتاب شاهد له بأن الله -تعالى- يعلم غيب السموات والأرض..

وأن المرمى البعيد الذى قصده موسى بتسبيح الله ونفى أدنى الضلال, وأشبع المعنى بنفى أقصى الضلال وهو النسيان لأن النسيان أشد عيبا من الضلال ؛ فالضلال يمكن أن يحدث فيه بعض هدى، أما النسيان فإنه تذكر بعد فوات الشيء كله؛ بحيث لم يبق منه شيء في ذكرته؛ كمن نسي صلاة: أى خرج منه وقتها فلم يتذكرها إلا بعد دخول ما بعدها. فإذا كان الضلال منه القريب ومنه البعيد, فإن النسيان لم يرد عنه في كتاب الله تعالى أنه مستويان اثنين، ولا أنه أكثر من اثنين،إنما ورد عنه ماهو عمد وماهو خطأ لأن النسيان قد اكتفى به القرءان فى الدلالة على أنه أكبر سبب في العذاب يوم الحساب. ولكى يتحقق عدل الله فى مجازاة هذا الناس ي ربه –

اقتضى العدل وورود التعبير بالنسيان نسبة مجازية إلى الله تعالى فقال: "نسو الله فنسيهم" [التوبة 67]، ومن ثم، فموسى يرمى إلى نفيين معا، في أولى وءاخرة؛ قليلا وكثيرا؛ جمعا للضدين لدلالة تمام التسبيح: الأولى: أن ربه تعالى لا يضل عن بعض علم شيء؛ وهذا نفي لجزء من كل، وهو أقل العيب، وهو لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى، وهذا أولا يمثل أحد الشطرين الأخرى: أن ربه تعالى لا يضل أيضا عن علم شيء كلية؛ وهذا نفي للكل، وهو أكثر العيب وأكبره، وهو أيضا لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى، وهذا ءاخرا، وهو يمثل الشطر الآخر. وهو ما أدخل المعنى في حد النسيان؛ ومن ثم كان التعبير الجامع المانع لهذا المعنى هو قوله: "ولا ينسى".. أي أن الضلال جزء من النسيان، لكن النسيان أكبر من الضلال. لأن قمة وتتمة المعنى تقتضى طرفين اثنين:

الطرف الأول: العلم أي يعلم بنفسه بقدرته بقوته لا أن يتعلم.

الطرف الآخر: نفى نسيان العلم بعوارض وحوادث الحياة وطولها وكثرتها، كما قال الشاعر أحمد شوقى[1] في منفاه:

اختلاف الليل والنهار يُنْسِي   اذكرا لي الصّبا وأيامَ أُنْسِي

وإذا كان فى حق الإنسان أن يقال فيه: تذكر بعد نسيان فلا يليق بالله تعالى أن ينسى فيذكر أو يتذكر ، إنما لا يليق به إلا هذا النفى بهذه الأداة بهذا الفعل الواسع الدلالة الرحب النطاق، دون أن ينغلق، ولا أن يختزل، ولا أن يقصر الظرف على (القرون الأولى) وإن كانت قرونا كثيرة و إن كانت الأولى على وزن (الفُعْلَى)، فمهما كانت، فهي تمثل الماضى السحيق إلا أن موسى قد وسع المعنى بما يليق بالله الحقيق ، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، ولا يقتصر المعنى على الماضي، وإن امتدت رحابه. ولعلنا نشتَمّ رائحة هذا المعنى في قوله -تعالى-: "والراسخون في العلم يقولون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.."؛ حيث تتجلى لمن يتدبر حقيقة المعنى أن الله تعالى قد منّ على عباده أولي الألباب الذين صفت لله بواطنهم، وخلصت له قلوبهم من شائبة زيغ وفتنة وشبهة- قد منّ عليهم منتين: - إحداهما: هي منة الهدى لابتغاء علم التأويل لما تشابه من كتاب ربهم، يتعلمون تأويله من معلمه الحق وهو الله الذي سخر لهم من يتلقى الوحي منه وبعثه لهم معلما؛ فتعلموه حتى كانوا فيه من الراسخين الذين لا تخدعهم شبهة ولا شهوة، وقد أفلس عندهم إبليس،لعنه الله، وحال بينه وبيهم نور علم التأويل، وحفظهم الله من إضلاله وإغوائه..؛ وهذه إحداهما. - أخراهما: هي منة التثبيت على هذا الحق بعد ذوقهم حلاوته؛ إذ إن الفتنة لا تؤمن على الأحياء، وإن كانوا علماء. فهاتان المنتان في حق الناس-عندي- تمثلان في حقهم أيضا مجاهدتهم أنفسهم والشدائد حولهم في عملين اكتسابيين: أحدهما: مجاهدة تعلم العلم، ءاخَرهما: مجاهدة نسيان هذا العلم بعد تعلمه. هذا في حق الناس، أما الفرق بين الله والناس، فهو أن الله لا يتعلم حتى يكون كالناس في أنهم يتعلمون بعد كونهم: "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا.." [النحل 78]، "علم الإنسان ما لم يعلم" [العلق 5]، وعلمك ما لم تكن تعلم" [النساء 113]، الناس في هذا عرضة للضلال، لكن الله -تعالى- لا يَضِل ولا يُضَل، إنما هو الذي يُضِل من يشاء، ويَهدي من يشاء. وهذا ما عناه موسى -عليه السلام- إذ سبح ربه أولا بقوله: "لا يضل ربي" ، ومثلما كان الناس في

---

[1] - أمير الشعراء بمصر توفي قبل نحو قرن (1352) هجرية، جمع شعره في كتاب سمي: (الشوقيات)

عجزهم قبل العلم، هم هم في عجزهم بعده، لكن الله -تعالى- لا يعجزه شيء، ولا يغلبه شيء وهذا ما عناه موسى -عليه السلام- إذ سبح ربه ءاخرا بقوله: "ولا ينسى". وهذا ما عناه موسى -عليه السلام- إذ سبح ربه بالثناء عليه نافيا عنه لكل عيب صغير وكبير، بقوله إجمالا: "لا يضل ربي ولا ينسى". نعم، لقد أراد موسى -عليه السلام- في هذا المقام أن يبرز لفرعون أن الله "ليس كمثله شيء"، وأن طغيان فرعون في ادعائه الربانية وزعمه الإلاهية محض افتراء وكذب، ليتجلى له الفرق بين الحق والباطل، تذكرة له وإقامة للحجة عليه. و لم يشأ موسى -عليه السلام- في هذا المقام أن يصرح بعقد مقارنة بين فرعون وبين الإله الحق، تحقيرا لشأن فرعون، ولعله في رغبته هذه عن التصريح بالمقارنة والمفارقة اتباعا لأمر الله -تعالى- أن يقول -هو وهارون- له قولا لينا..، وإن المقام يستدعي تلك الصورة الشاهدة بهذه المفارقة الحادة في نحو قوله -تعالى-: "قل هل من شركائكم من يَهْدِي إلى الحق قل الله يَهْدِي للحق أفمن يَهْدِي إلى الحق أحق أن يُتّبَع أمّن لا يَهْدِي إلا أن يُهْدَى فما لكم كيف تحكمون" [يونس 34]. أي أن فرعون إنسان لا يملك أن يهتدي إلا أن يهديه الله الذي يهدي إلى وللحق، فإذا كان قوله -تعالى-: (يَهْدِي إلى الحق) يبرز قدرة الله المعجزة، فإن قوله -تعالى- (يَهْدِي للحق) أقوى وأبلغ وأعظم وأقدر!.

12- ثم ما أجمل التوقع لدى نبى الله ورسوله موسى -عليه السلام, فلم يسبب له سؤال فرعون مفاجأة ولا مباغتة لأنه قد أعد للقاء عدته وتهيأ لكل ما يمكن أن يدور في فلك فكر فرعون، وما يمكن أن يجول فيه, مع أن الله تعالى قد أجمل له في المهمة : "قولا له قولا لينا" [طه 44]. لقد أيقن موسى -عليه السلام- بأن مرمى فرعون هو الطعن في قدرة الله تعالى في علمه بالغيب الماضي, وهذا وحده يكفي دلالة على أن فرعون غير جاد في أمر الهدى والإيمان ؛ فبدل أن يسأل سؤالا تعجيزيا عن سؤال في أمور يطول الحديث عنها ، والإغراق في بعدها السحيق- إنه لو كان جادا لسأل عن القرون المستقبلة بل لو كان جادا -حقا- لسأل عما يعنيه هو في أمر الدين الحق؛ كأن يقول: فما بال ذنوبى؟، إنه لو قاله، لقال له موسى: الإسلام يَجُبُّها! بل ويمكن أن يغفرها، بل وأن يبدّل سيئاتك حسنات ! لكن فرعون يتأبى على أن يتذكر أو أن يخشى. ولو كان جادا حقا لسأل: وماذا لى عند ربى إذا أنا صدّقت ، أو ءامنت، أو أسلمت ، أو أحسنت ؟، لو قاله لنوّره موسى وأخرجه من ظلمات الباطل والطغيان والتجبر والاستكبار والإفساد إلى نور الحق والإصلاح والسكينة!

13- كما نلاحظ أن سؤال فرعون هذا إنما كان تعجيزا لموسى نفسه، الذي علم أنه مأزق عميق وأن الخروج منه يقتضى حنكة ؛ فموسى لم يقل: (لا أعلم عنها شيئا)، و لم يقل: (إنها القرون الأولى التى عاش فيها فلان وفلان وكان فيها كذيت وكذيت..). إنما قال: "علمها"، أى أن لها علما, ليس استهانة بشأنها ففيها الخير وفيها الشر وفيها العمل وفيها الجزاء. وبهذا قد استطاع موسى -عليه السلام- ببراعته بهذه الإجابة أن يُحوج الخصم إلى تعلمها؛ إذ أبرز خصمه فرعون هنا فقيرا؛ ليسقط كل ما يزعمه في شأنها، وتعجيزا له هو أن يُضل أحدا في شيء يتعلق بها.

14- ولقدأحوج خصمه وحقه أن يكون المتعلم- لمعلم واحد هو الله رب العالمين ، وشهد أن هذا العلم في كتاب مما قد تيسر لفرعون تعلمه؛ فهو كتاب الله الذى فيه علم القرون كلها الأولى والآخرة وفى وهذا دعوة لطيفة من موسى لخصمه ليتعلم العلم الذى يسأل عنه.

15- وقد أثنى موسى على ربه بأنه: "لا يضل"، وبأنه: "لا ينسى"؛ إغاظة للخصم الذى لم يطق حتى أن يذكر اسم ربه العلي العظيم؛ فجاء موسى بقوله مصرحا : "لا يضل ربي ولا ينسى"، و لم يقل: (ربي لا يضل) لأن قوله: "لا يضل ربي ولا ينسى" نعت لقوله: "علمها عند ربي في كتاب"؛ فالثناء هنا نعت لرب لا لكتاب.

16- لقد ظهر -جليا- بهذه الموضوعية، أن تأخير الفعل ينسى، لم يكن أبدا لمجانسة الفواصل القرءانية في سورة (طه)، إنما كان تأخيره بعامل المعنى؛ فهو أشد من سابقه (يضل) في الدلالة، ولذا وجب تأخيره!.

الفصل الرابع: تعزيز لصحة هذه القاعدة الدلالية المستنبطة بدراسة موجزة في قوله تعالى: "أَنْ تَضِلَّ إحداهما فتذَكّرَ إحداهما الأُخْرَى"، حيث قد توصل البحث إلى كشف حقيقية دلالية جديدة غير مسبوقة بشأن شهادة المرأة مقارنة بشهادة الرجل.

لأن قوله: "أن تضل إحداهما " إنما هو تكريم عادل للمرأة، وأنه لايسيء إليها ولا ينقص من أهليتها ولا من مساواتها للرجل في الشهادة ؛ وذلك أن التحقيق العلمي في هذه الشبهة ينفي كل ما تعلق به ظاهر المعنى، حيث أن دين الله تعالى يريد عدة مقاصد، هي السياق الحقيقي الذي فيه تفهم هذه القضية، فهما دقيقا:

أولا: أن الإشهاد تثويق للعقود، وأحفظ للحقوق، وأقرب لنفي أدنى الارتياب

ثانيا: يسر على الأمة؛ بأن اكتفى بشاهدين اثنين

ثالثا: استعمل الرجال دون النساء؛ حفاظا عليهنوتكريما لهن من أن يختلط بالرجال

رابعا: عند تعسر وتعذر أن يكون الشاهدَينِ رجلين، لم يتعنت، إنما جبر هذا العذر باستعمال البديل عن الرجل، وهو استشهاد امرأة واحدة، مع الرجل الواحد ليكتمل نصاب الشهادة المفروض، وهو شهيدان

خامسا: وعند تداخل المقاصد فقد اجتلبت امرأة أخرى؛ تكريما لأختها، إن اقتضى الأمر؛ لكونها بشرا لا تومن عليها الفتنة، مثلها في ذلك نثل الرجل تماما

سادسا: كانت العلة في عدم الاكتفاء برجل واحد أنه بشر لا تومن عليه الفتنة، فاستشفع بالآخر

سابعا: استعمل أمورا تحفظ للمرأة كرامتها؛ حيث قال: (أنْ تضل) بترجيح قراءة (أن) على قراءة (إنْ)، ثم استعمل مادة (ضلل) وهي أقل عيبا دون (نسي) التي هي أشد، حتى إنه في المقابل قد استعمل في جواب الشرط المحتمل- برجاحة قراءة (فتُذْكِرَ)، وبالنصب الدال على التقييد بوقوع فعل الشرط، على قراءة التضعيف (فتُذَكّرَ)، ثم عدم ذكر حتمية أن تضل إحداهماُ ثم ضمانة أنما لا تجتمعان على ضلالة، وهذا -عندي- مدح لا ذم، وضمانة أن الإذكار لا يخرج عنهما، دون الحاجة إلى رجل.

ثامنا: إن عدم الاكتفاء في هذه الحال بامرأتين دون ذلك الرجل، الذي لم يتيسر معه رجل ءاخر، حتى لا ينقلب مقصد أدنى على مقصد أعلى؛ فتمتهن المرأة مع المرأة، ويستغنى عن الرجال، إنما روعى الترتيب الذي بدأ الله به.

تاسعا: وبناء على هذا -فإنني لا أجد دليلا يطعن في صحة شهادة المرأةتين معا دون أي رجل معهما إلا رتبة المقاصد، وإن كانت شهادة المرأتين تعدل الرجلين الاثنين لا الرجل الواحد شرعا- بما تقرر من حقائِق ومسلمات!.

عاشرا: إن النص القرءاني لم يذكر لا صراحة، ولا ضمنا- أن شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل، فمن أين قال الناس ما قالوا، واعتقدوا ما اعتقدوا، وقضوا بما قضوا؟!.

وخلاصة الشاهد الذي يقصد إليه البحث هنا- هو أن استعمال مادة (ضلل) في هذا السياق يؤيد أن الضلال أخف عيبا من النسيان.

وعندما يرد الضلال في مواضع قرءانية يجب النظر فيها لامتحان هذه القاعدة الدلالية لتقرير مدى صحتها وسلامتها، ويحسن ذلك كلما قورن بالنسيان كبديل. حتى إن ذلك ليتضح كلما تدبرنا في هذه المواضع لنتساءل أكان استعمال الضلال والنسيان، كلا في رتبته ومكانه استعمالا بلاغيا سليما؛ بحيث لا يستقيم المعنى إذا تبادلا المواضع فيما بينهما؟ . إن القاعدة التي تقررها البحث هي : أن الضلال الذي ينسب للإنسان عيب، لكن النسيان الذي ينسب إليه أشد عيبا، لأن النسيان هو التمادي في الضلال؛ فالضلال بداية فطرية في الإنسان بسبب أنه يخرج في الدنيا لا يعلم شيئا، وباكتسابه العلم يهتدي، وذلك يفهم من نحو قوله تعالى: "قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي" [سبأ 50]، ونحو قوله تعالى لمحمد -صلى الله عليه وسلم-: "ووجدك ضالا فهدى" [الضحى 7]، ونحو قوله: "بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان" [الحجرات 17].

أما النسيان فإنه أكبر عيبا من الضلال، وأشد خطرا، بما استحق سؤال المؤمنين ربهم هذا السؤال: "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا"، حتى كان الحديث: " عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه "[1]. وهذا دليل أن النسيان شديد غلب الإنسان عليه، و لم يتعمده، أما إنه إذا كان عمدا، فهو هذا العيب الكبير الذي هو أعظم من الضلال جرما وذما وسوءا. فإن قيل: هل تستقيم هذه القاعدة عند قوله تعالى:"اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" [الفاتحة 7]، أي: كيف يكون الضلال هنا أهون من النسيان؟، قلت: لا عجب، لأن هؤلاء المصلين يسألون ربهم الصراط المستقيم الذي ليس فيه أدنى عيب؛ فالمقام يقتضي ذلك الحرص الشديد، ولا يعقل أن يحذروا العيب الكبير دون الصغير؛ ومن ثم كان استعمال الضلال هنا سليما دقيقا، لا يخالف القاعدة الدلالية التي تفرق بينه وبين النسيان!. وزيادة في اليقين للتسليم بصحة هذه

---

[1] - (جامع العلوم والحكم) لابن رجب الحنبلي، روى فيه هذا القول: "حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما".

القاعدة- كان استعمال الضلال في نحو قوله تعالى: "وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنيهم ولآمرنهم.." [النساء 118-119] استعمالا سليما من حيث الدلالة؛ حيث أن الشيطان -لعنه الله- يبدأ به لابن ءادم ويشده ويبتعد به حتى يكون في ضلال بعيد ، بعد أن اتبع خطواته. كما أن نحو قوله تعالى: "ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير" [الحج 3-4]، و"إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير" [فاطر 6]، يزيد هذه الحقيقة جلاء. وإذا استهان الأشقياء، وهم في العذاب، بسبب عذابهم وحسبوا أنهم لم يأتوا بذنب كبير يستلزم كل ما هم فيه، فقالوا بروح السخط والاعتراض والجدل: "قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين" [المؤمنون 106]، أي أنهم يعذرون أنفسهم، وكأنهم مظلومون: (غلبت علينا شقوتنا)، وأنهم لا ذنب لهم ويسلمون أنهم لم يجدوا من يهديهم إلى الحق لأنهم كانوا: (قوما ضالين)؛ استهزاء منهم بعيبهم، إذ لم يعْدُ كونه ضلالا، وأنهم لا يؤاخذون به وهو عيب هين، لو أطال الله عمرهم أكثر لكانوا مهتدين، ومؤمنين، ومتقين، ومحسنين، ويعدون ربهم بأنهم سينصلحون، لكن المهم أن يتخلصوا من هذا العذاب الذي يعتبرون أنفسهم فيه مظلومين، فقالوا: "ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون" [المؤمنون 107]، فإذا باليأس والإبلاس يقطع أملهم، لأن الله يصرح لهم بالحقيقة، بأن ذنبهم كبير، لأنه نسيان لا ضلال، فيقول لهم قولا مهينا: "اخسؤوا فيها ولا تكلمون إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا ءامنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري" [المؤمنون 110]؛ فكان النسيان هو سبب عاقبتكم السوأى. و في هذا الموضع بيان أن نسيان يوم الحساب هو السبب الذي يورد صاحبه العذاب الشديد : "يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب" [ص 26]. وكذلك كان النسيان -لا الضلال ولا الإضلال- هو العمل الذي أورد الناسي حق ربه، ولقاء ربه، وحساب ربه، ومقام ربه.. -هو الذي أورده العذاب؛ فالنسيان هو العمل السيئ، والعذاب هو الجزاء، كما تشهد هذه المواضع القرءانية: -"ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل" [الفرقان 17] "ولكن متعتهم وءاباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا" [الفرقان 18]. -"وإن تطع أكثر من في الأرض يضلونك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" [الأنعام 116-117]. -"إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا" [الأحزاب 67]. - "قال كذلك أتتك ءاياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف و لم يؤمن بآيات ربه" [طه 126-127]. -"فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا مبلسون" [الأنعام 44]. ولبيان هذا الخطر العظيم- أنذر الله عباده عاقبة النسيان: "ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولائك هم الفاسقون" [الحشر 19]، و"فنسوا حظا مما ذُكّروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة" [المائدة 14]، و"ومن أظلم ممن ذُكّر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي ءاذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذًا أبدا" [الكهف 57]. ولقد قال أبو البقاء الكفوي في (الكليات): "والضلال: هو أن تخطئ الشيء في مكانه و لم تهتد

إليه والنسيان أن تذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك" وقال أيضا-: "والنسيان: غيبة الشيء عن القلب بحيث يحتاج إلى تحصيل جديد قال بعضهم: النسيان: زوال الصورة عن القوة المدركة مع بقائها في الحافظة ". وقد نقلت عنه هذا الكلام، لبيان حقيقة أن النسيان أشد من الضلال، لأن النسيان هو أقصى الضلال، وأن الضلال هو أدنى النسيان. هذه واحدة، وحقيقة أخرى؛ عندما يكشف هذا النقل عن لؤم فرعون وخبثه عندما سأل سؤاله: فما بال القرون الأولى، وقد قال الكفوي أن النسيان أن تذهب عنه (الشيء) بحيث لا يخطر ببالك" ، فباستحضار (البال) في السؤال وفي التعريف، نصل لمغزى فرعون وغمزه، وشدة إساءته في جنب الله –تعالى–، وهذا يفسر تمسك موسى عليه السلام بإطنابه في الرد على هذا المجرم، والتحريز في تسبيح الله تعالى عن كل عيب.

وهذه طائفة من المواضع القرءانية تتصل بالبحث اتصالا دلاليا هادفا، تزيد من تقرير صحة القاعدة الدلالية المستنبطة:

قال الله تعالى: "استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولائِك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون" [المجادلة 19]. فهذا الموضع يبرز عداء الشيطان ومدى تسلطه، واستقطابه واستحزابه واستحواذه على أوليائِه حتى أنساهم ذكر الله، أي أنساهم قدرته وقوته وعزته وانتقامه من حزب الشيطان، كل ذلك كان عاقبة النسيان. أما الذين اتقوا ربهم فقد بصرهم الله وذكرهم ونجاهم من عدوهم، ومن ثم جاء قوله تعالى: "إن الذين اتقوا إذا مسهم طائِف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون" [الأعراف 201-202].

ومن هذه الظواهر الدلالية في التعبير القرءاني، بهذا الشأن- إدراك أن النسيان عمل يسعى إليه الشيطان- لعنه الله- عند علو الأجر على عمل صالح من أعظم الأعمال الطيبة، التي هي من عزائِم الخير، ففي موضعين يدعو الله عباده إلى الصبر على عداوة الناس، وفي كل موضع إشارة إلى بيان صرخة الشيطان من أن ينجح أحد من متبعي نهج حسن الخلق؛ فينقلب عليه الشيطان بالنزغ لإفساد هذا النجاح، ولننظر في هذين الموضعين حيث يقول الله تعالى: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم" [الأعراف 199-200] وحيث يقول: "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم" [فصلت 34-36]. يجب اليقين بهذه الحقيقة.

ومن هذه الظواهر الدلالية في التعبير القرءاني، بهذا الشأن- إدراك تقديم وتأخير الضلال في موضعين اثنين وسر ذلك الترتيب؛ فقد دعا الله تعالى الناس وهم في الدنيا بقوله: "قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالؤ ون منه البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون" [الواقعة 49-57].

فقدم ذكر الضلال على التكذيب لبيان خطره في بدايته قبل أن يستفحل ويصير ضلالا أكبر وأشد ، لكن لما لم يتعظوا و لم يهتدوا حتىجاءهم فجيعة الموت "فلولا إذا بلغت الحلقوم" [الواقعة 83]، فقد فاهم أوان الدنيا، وصاروا بإصرارهم على الاستهانة بخطر الضلال- فقد بين لهم أن هذا الضلال الذي كانوا به يستهزءون، قد اشتد خطره؛ حتى صار ضلال نسيان، ومن ثم تأخرت رتبته؛ فقال: "وأما إن كان من المكذبين الضالين فترل من حميم وتصلية جحيم".. [الواقعة 92-94]. ولعل هذا مما يوضح هذه الحقيقة في العلاقة الدلالية بين الضلال والنسيان.

ومن هذه الظواهر الدلالية في التعبير القرءاني، بهذا الشأن- بيان أن قوله تعالى: "فلما رأوها قالوا إنا لضالون" [القلم 26]، يدل على هذا النوع من الضلال في الدنيا الذي يمكن أن يعتبر مقدمة للنوع الأخطر، الذي هو ضلال النسيان؛ فهذا الموضع حديث عن (أصحاب الجنة) الذين تباخلوا على المساكين، وساق الله قصتهم للاعتبار بعاقبة إجرامهمن حيث أعقبهم الله على نيتهم السيئة بترع النعمة منها؛ حتى حسبوا أنهم ضلوا عن جنتهم ذات الحرث الثامر، والخير الغامر، فبعد أن قالوا: إنا لضالون، تداركوا الواقع المر: "بل نحن محرومون" [القلم 27]، وهذا يشهد بأنه ضلال في الدنيا، يمكن استدراكه قبل أن يشتد فيصير ضلالا أكبر وأشد؛ أي يصير نسيانا!.

الخاتمة والنتائج:

يستطيع البحث -من هذه الدراسة- أن يستنتج عدة نتائج علمية، أهمها:

1- الضلال يسبق العلم بالشيء، والمعرفة به، وضده الهدى الذي يسلك الضال طريقه بالاهتداء واتباع الحق، أما النسيان، فهو ضياع العلم بعد علمه، وزوال المعرفة بعد معرفتها، ومحو الحق بعد تحققه، وزيغ الناسي بعدالهدى، وضد النسيان الذكر، الذي يسلك الناسي طريقه بالتذكر؛ وبهذا يتجلى أن بين الضلال والنسيان فروقا دلالية، تتلخص في أن الضلال قبل الدخول في نور الحق، وأن النسيان خروج من الحق، وفسوق ، وإن الضلال والنسيان كليهما يريد الشيطان أن يتسلط بهما على ابن ءادم؛ فيضله عن الاهتداء إلى الحق، وإن غلبه الشيطان بقي ابن ءادم ضالا متبعا هواه لايهتدي، أما إذا نصره الله على شيطانه واتبع الهدى وعَلِم الحق، فإن الشيطان -لعنه الله- يسعى لرده عنه، ويضله عن الثبات على الحق، ويخرجه من النور إلى الظلمات، فيكون كمثل من قال: "لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا" [الفرقان 29]، ومن أجل ذلك قال الله تعالى: "وإما يُنسينك الشيطان فلا تقعدْ بعد الذكرى مع القوم الظالمين" [الأنعام 68]. ومجازا - يمكن أن يسمى الضلال نسيانا على اعتبار أنه سبب فيه لأنه من عمل الشيطان من نوع " أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني"، ولعل هذا هو ما يفسر لنا التضمين بالمجاز في تسمية النسيان ضلالا في قوله تعالى: "أَنْ تَضِلَّ إحداهما فتذَكّرَ إحداهما الأُخْرَى"، ولعل هذا التداخل بسبب التضمين هو الذي يجعل بعض الباحثين لا يرى بين الضلال والنسيان فرقا دلاليا!

2- الضلال منه الأدنى؛ القريب؛ القليل؛ الصغير؛ الخفي، ومنه الأقصى؛ البعيد؛ الكثير؛ الكبير؛ المبين. ولعل الضلال قبل العلم بالحق، وقبل الاهتداء إليه أخف وطأة؛ لأنه يعتبر ضلال بجهالة يتيسر التخلص منه، ويمكن تسميته: (ضلال جهل)، فيكون أهون من ذلك الضلال بعد العلم بالحق، والذي يمكن تسميته: (ضلال علم). وبهذا يمكن لي أن يتفسر قوله تعالى: "وأضله الله على علم" أي بعد علمه بالحق والباطل، والخير والشر. ومن المجاز أيضا اعتبار ذلك النوع الذي هو (ضلال علم)، هو الضلال البعيد الكثير وأنه هو الضلال المبين. وهذا هو ما تسميته (ضلال نسيان العلم)، و(ضلال نسيان الحق)، حتى يصل إلى اختصاره في مفردة واحدة هي: (النسيان). وهذا التداخل يكشف للباحثين عن خصيصة من خصائص العربية في علاقة المفردات بعضها ببعض وكأن بينها أنساب وأرحام متلاحمة يربطها حبل واحد، تأتلف وتندمج ويُسلم بعضها لبعض، وتتماسك بحيث تلوم دارسها بالإحاطة بها وإحصائها؛ ليدرك دقتها وعلاقاتها المتماهية، حتى تكون كل مفردة مع أختها مهما تقاربت بينهما الصلة، إلا أن بينهما برزخا لا تبغيان، ولنتصور أن بعدد هذه المفردات ألوانا متناسبة، وكل هذه الألوان على كثرتها تحسبها جامدة، وهي تتحرك حركة لطيفة، ذات اتجاهين اثنين لكل مفردة: حركة تعارف وتآلف وتقارب مع مرادفها، تصل إلى الحركة الأخرى لتكون في الاتجاه المضاد: حركة تنافر وتباعد وتضاد وتخالف. وهذه العلاقة تخص المعنى، أما علاقة المبنى فهي شأن ءاخر. فتبارك الله الذي أحسن لنا هذا اللسان، واصطفاه!.

3- النسيان منه العمد ومنه الخطأ، وينسب إلى الله في نحو: "نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهم" مجازا لعلة بلاغية

4- (ضل ونسي) مترادفان في الضعف والعجز والعيب، يفترقان في أن (ضل) بداية نهايته نسي؛ فـــ (ضل) عيب، و(نسي) أشد عيبا.

5- تقدم ذكر الضلال وتأخر النسيان في (لا يضل ربي لولا ينسى) لعلاقة الترادف الدلالي؛ فكلاهما يقتضي الآخر بهذه الرتبة

6- اتخاذ الفرق الدلالي في حقل ترادف المفردتين القرءانيتين تتوقف عليه منافع كثيرة.

7- أن موسى عليه السلام في جدال فرعون عنى إبراز نوع من الثناء الأليق بربه باستعمال الفرق الدلالي بين المترادفين، بأن سبح الله عن كل عجز، قل أو كثر؛ بنفي أدنى الضلال وبنفي أشد النسيان كله.

8- وبهذا المنهج الدلالي -تبين للبحث الموقع الإعرابي الأدق لقوله تعالى: "لا يَضِلُّ رَبّي ولا يَنْسَى".

أهم المراجع:

- ابن عادل، عمر بن علي الدمشقي (775) في تفسيره (اللباب في علوم الكتاب)، ط. العلمية
- ابن عاشور، محمد الطاهر (1392): التحرير والتنوير، ط. الدار التونسية للنشر، 1984
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر – بيروت ط1
- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي (1270): (روح المعاني)، دار الفكر، (1413)
- أبو البقاء، أيوب الكفوي (1094): (الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، مؤسسة الرسالة
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف: (البحر المحيط)، ط. العلمية – بيروت

- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: (إرشاد العقل السليم)، دار إحياء التراث العربي – بيروت
- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر(885): (نظم الدرر)، دار الكتاب الإسلامي.
- الثعالبي، أبو منصور: (فقه اللغة وأسرار العربية) دار الكتب العلمية
- الزجاج، إبراهيم بن السري (311): معاني القرءان، ط. عالم الكتب
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: (البرهان في علوم القرءان)، المكتبة العصرية، ط2
- الزمخشري، محمود بن عمر، (538): الكشاف، ط. العبيكان
- السمين الحلبي، أحمد بن يوسف: (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)، دار القلم دمشق
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر (911): (الإتقان في علوم القرءان)، العلمية، ط3
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد: (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية)، دار الفكر
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310): (جامع البيان)، ط. مكتبة ابن تيمية
- العسكري، أبو هلال (395): (الفروق اللغوية): دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة
- الفارسي، أبو علي (377)، (الحجة للقراء السبعة)، دار المأمون، دمشق
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد: (207)، (معاني القرءان)، ط. الهيأة المصرية العامة للكتاب
- القرطبي، محمد بن أحمد (671): الجامع لأحكام القرءان، ط. مؤسسة الرسالة

رب تقبل مني هذا، واجعله عملا صالحا؛ إنك على كل شيء قدير؛ والحمد لله رب العالمين.